الخاتمـــــــــة

في خاتمة هذه الرسالة أحب أن ألخص ما عرضت له في دراستي لوصف الطبيعـــــة في القطر السودانـــــي :ـ

فقد تعرضت في التمهيد لعلاقة الشاعر بالطبيعة من أقدم العصور اليونانية حتى عصرنا الحاضر ووضحت أن الطبيعة كانت تلفت نظر الشاعر اليها في رضائها وتفتحها أو في عبوسها وغضبها فالانسان اهتم بالطبيعة لأنه يعيش فيها ويتفاعل معها • ولهذا افتتن بها قدماء اليونان والاغريق وارهبتهم حتى جعلوا آلهتم منها •

وتعرضت لشعراء الأدب العربي وكيف كان وصفهم للطبيعة فوجدت أن الشاعـــر العربي القديم كان يصف مظاهر الطبيعة الخارجية وصورها التي تبدو من الظاهر ولا يتعمق الى داخلها ولا يعمقها الى داخله وقد تكررت هذه السمة حتى لدى شعراء الدولـــة العباسية ومن بعدهم ولكن اختلفت نظرة الى الطبيعة بعد اتصال العالم العربـــي بالآداب الأجنبية وبعد اطلاعهم على المذاهب الأدبية الحديثة فأعملوا خيالهم وحســـــهم وشعورهم وانفعلوا بالطبيعة وعايشوها في أحزانهم وأفراحهم وصوروها بآلامها وأحاسيسهـــا ودقائقها الشعورية وعاملوها كأنها انسان يحس ويدرك •

وفي الباب الأول أعطيت دراسة للجغرافية الطبيعية للسودان تبين موقعة ومناخـــه وظواهره الطبيعية وما يتميز به من نبات وشجر حتى تكون صـــــورة البـــلاد واضحة أمـــام من يدرس شعـــــر الطبيعة في الســـــودان وحتى يكون الوصف بيـــــنا عند مـــــن

يقرأ قصيدة تتعلق بهذا الموضوع ".

كما درست فيه الجوانب المختلفة والهيئات المختلفة ونظم الشعراء فى ذلك . وقد وجدت أن الشعراء فى السودان فى وصفهم لطبيعة بلادهم لا يتقيدون بحدود البيئة التى نشأوا فيها بل ان وصفهم كان لكل منطقة فيه .

وبينت فى هذا الفصل "الثانى " ما تتميز به كل بيئة عن الأخرى من نبات وشجر ومطر وسيول وجبال وقد وفق الشعراء الذين تناولنا شعرهم الى ابراز هذه الظواهر فى شعرهم .

وكل ذلك أعطانا صورة واضحة للظواهر الطبيعية للقطر السودانى بمختلف بيئاته .

ثم لفت نظرى ظاهرة الخريف فى السودان وكيف أنه يعتبر تجديدا لشباب الأرض واخضرارا وحياة لها بعد عبوس وقحل وجفاف فهو يعنى به الحياة والأمل والاشراق والنضارة والجمال فى حين أنه يعتبر فى بعض البلدان خاصة الأوربية بمثابة نهاية وموت للأرض وما عليها وذلك عندما تتساقط الأوراق وتموت فيها النضارة والرونق والجمال ولهذا فهو يمثل عندهم الابتذال بنهاية الحياة وجفافها وعبوسها .

فهذا الاختلاف فى النظر لمفهوم الخريف هو الذى دفعنى لأن أحاول أن أتتبع النظرة البيئية وتأثيرها على عقلية الشعراء وانتاجهم .

ثم أردت أن ألاحظ تأثير الثقافات الأخرى التى أطلع عليها الشعراء فى السودان .

والتى تختلـــف عنها فى مفهوم الطبيعة عندهم عن شعراء السودان فى ظاهرة الخريـــف والى أى مدى كان تأثيرها عليهم ؟ .

والاجابة التى خرجت بها من دراستى للبابين الثانى والثالث هى أنى وجدت تأثـــير البيئة أقوى من الثقافة الأجـــنبية ففى كل الذى تعرضت له فى هذا البحث وجدت أن شعراء السودان فى وصفهم لظاهرة الخريف يختلفون عن بقية الشعراء قـــى الدول التى تخالـــف طبيعتها ومناخها الســـودان .

هذا ما وجدته عند شعراء البحث الذين تأثروا بالثقافة العربية الخالصة حين نظموا على منوال القدماء وقلدوهم فى أسلوبهم وتعبيراتهم وتشبيهاتهم ولكنهم عند التعرض لوصف ظاهرة الخريف تجد الجو يختلف وتظهر البيئة السودانية والطبيعية فى شعرهم واضحـــــة وجلية .

وذلك ما وجدناه عند الشاعر " البنا " فى قصائده التى يصف فيها البطانة كقصيـــدة " أنا والأعرابى " (١) وكذلك فى قصيدة " البطانة " (٢) وقصيدة الخريف" (٣) .

وأيضا وجدنا ذلك عند العباسى فى قصائده التى وصف فيها مناطق مختلفـــــة

١ــ ديوان البنا ــ ص ١٦٨ ــ الجزء الأول . ط أولى . ١٣٤١ هـ مطابع الحضارة الخرطوم .
٢ــ كتاب " الشعر والشعراء فى السودان " احمد ابو سعـــد ص ٤٢
٣ــ ديوان البنا ــ ص ١٦٤

مثل قصيدة " مليط " (١) و " سنار " (٢) و "دارة الحمراء " (٣) و " وادى هـــور " (٤) و " النهـــود " (٥) .

وتتضح مظاهر البيئة السو انيـــة وطبيعتها أكثر عند شعراء الرومانسية أو التجديد أمثال التجانى يوسف بشير وحمزة الملك طنبل ومحمد أحمد محجوب ومصطفى التنى ومحمد المـــهدى المجذوب وغيرهم من الشعراء الذين ظهروا فى الثلاثينيات والأربعينـــات وما بعدها الذين تأثروا بالثقافة الأوربية فى أصولها أو فيما ترجم عنها كما تأثـــروا بدعـوة التجديد التى قامت بمصـــر على أيدى العقاد وشكـــرى والمازنى . فبالرغـــم من اطلاعهم على هذه الثقافات المختلفة وتأثرهم بها الى حد كبير نجدهـــم قد اهتمـــوا بالطبيعة السودانية وأبرزوها فى شعرهم . فاهتموا بظاهرة الخريف ووصفوها وصوروا جمالها واشراقها وتغنوا بها فرحين لاكما عند الغربيين عندما يصفونها بالعبوس والتجهـــم والكآبـــة .

وقد كان ذلك واضحا عند الشاعر حمزة الملك طنبل أكثر هؤلاء الشعراء تعصـــبا للبـيئة السودانية وقد وضح ذلك فى قصـائده التى تعرضنا لدراستهـــا فى هذه الرسالة

١ــ ديوان العباسى ــ ص ٣٣ دار الفكر العربى عام ١٩٤٨

٢ــ نفس المصدر ص ٢٧

٣ــ نفس المصدر ص ٨١

٤ــ نفس المصدر ص ٥٠

٥ــ نفس المصدر ص ٧٥

مثل قصيدة " عاصفة " (١) و "ليلة ونهار " (٢) وكذلك عند التجانى فى قصيدة " توتى فى الصباح " (٣) و " الخرطوم " (٤) .

كما لم يفتنى أن أتعرضها يجاز لدعوة التجديد والدعوة الى قومية الأدب السودانى التى كان ينادى بها هؤلاء الشعراء وذلك فى الفصل الثانى من الباب الثانى حتى تتضح صورة ماكانوا ينادون به والى أى حد التزموا به .

أما عند المحدثين فأنى وجدت أن الطبيعة السودانية وتأثير البيئة فى شعرهم أوضح ففى كل ما عرضناه لهم من قصائد نجد عندهم الطبيعة السودانية واضحة بالرغم من اختلاف مذاهبهم الأدبية وتعدد ثقافاتهم . وقد مزجوا وصفهم للطبيعة بالقص والألعاب الشعبية التى ترتبط بظواهر الطبيعة خاصة سقوط الأمطار فى الخريف وقد وجدنا ذلك فى قصيدة " حكاية " (٥) للشاعر مبارك حسن خليفة وكذلك عند الشاعر صلاح احمد ابراهيم فى قصيدة " استسقاء " (٦) وغيرهم أمثال جيلى عبدالرحمن

١ــ ديوان " الطبيعة " ص ٩٤ ط أولى عام ١٣٤٩ هـ ــ ١٩٣١ م مطبعة الرحمانية بمصر

٢ــ نفس المصدر ص ١٠٤

٣ــ ديوان " اشراقة " ص ٣٤ ط رابعة ــ مطبعة التحدن بالخرطوم عام ١٩٦٤

٤ــ نفس المصدر ص ٢٣

٥ــ ديوان " ألحان قلبى " ص ١٣ . طابع الاستقلال الكبرى عام ١٩٦٤

٦ــ ديوان " غابة الأبنوس " ص ٩ ــ دار الحياة بيروت .

وتاج السر محمد الحسن وسيد أحمد الحردلو .

وقد رأيت أن أكمل صورة مظاهر الطبيعة فى السودان بأن أتحدث عن النظم بالعامية حتى نعطى صورة كاملة لطبيعة السودان كما يصورها الفن القولـــى .

وقد وجدت أن الشاعر العامى صادق فى تعبيره عن الاحساس بالطبيعة لأنه ينظم على سجيته وطبيعته ولهذا امتاز عن الشاعر الذى ينظم بالفحى وهذا ما وضحته بالمقارنة بين شعراء العامية والفصحى وفى "سمار الصيد" وجدنا أن الشاعر قد أجاد وصف طبيعة الأرض حوله كما أجاد تفهم نفسيات الحيوان وقد جاء ذلك عن خبرة ومعايشة . كما انفرد الشاعر العامى الحردلو بهذا اللون من الوصف ولم أجد له قرينا فيه من الشعر الفصيح سوى أبيات قليلة "للبنا" .

وبذلك أكون قد أعطيت صورة لوصف الطبيعة فى السودان فى الشعر السودانـــى فصيحه وعاميه وخرجت منه بنتيجة هـــى :—

أن الشعراء فى السودان قد اهتموا بالطبيعة فى السودان اهتماما كبيرا بكل ظواهرها وبكل كبيرة وصغيرة فيها .

انصب اهتمامهم الأكـــبر على ظاهرة الخريف فصل سقوط الأمطـــار وما ينتـــج عن ذلك من ظواهر طبيعية على الأرض وفى السماء . وقد ركـــزت على هذا الجانب وحاولت ابرازه بوضوح حتى أصل الى حقيقة هامـــه وهـــى أن شعراء الســـودان لم يتأثـــروا فى وصفهم لطبيعة بلادهم بالثقافات الأجنبية فى أوصافها وتشبيهاتها وفـــى نظرتهـــا للظواهر الطبيعية بل انهم ابرزوا الظواهـــر الطبيعية لبيئتهم السودانيـــة

التى تمتاز بـــعدة صفات وظواهر تختلف فيها عن تلك البلاد خاصة ظاهرة الخريف.

شعراء الرومانسية تأثروا بالدعـــوة الى قومية الأدب وقد ظهر ذلك فى أسلوبهـــم الذى كثيرا ما يجنح الى العاميـــة ويظهر ذلك عند الشاعر حمـــزة الملك طنبل .

الشعراء المحدثون تأثروا بهذه الدعوة أكثر وقد وضح ذلك فى ايرادهم القصـــص أو الألعاب أو الحكايات الشعبية التى تتعلق بالظواهر الطبيعية .

وجود هذه التأثيرات فى شعرهم يميزه عن غيره من الشعر العربى بطابع المحليـــة الذى يهدو عليه .

عند شعراء العامية وجدنا جنوحا الى الاتيان بتعبيرات عربية قديمة احتفظـــت بها الذاكرة العربية فى السودان . كما وجدنا أن الشاعر العامى الحر دلوقد امتـــاز على شعراء الفصحى بأن نظم قصيدة كاملة فى غرض واحد وذلك ملا نجده عند شعـــراء العربية القدامى وشعراء الفصحى فى السودان وهذه ظاهرة فى الأدب السودانـــى العامى جديرة بالملاحظـــة .

.....

.....

.....